مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: الأمن الفكري في بلاد الشام ومصر خلال الحروب الصليبية (490 - 692)هـ/(1090 - 1291)م
اسم الكاتب: نجيب عبدالرحمن بن خيرة
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/8985
تاريخ الاسترداد: 2026/05/13 02:11 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد A

المجلد 16، العدد 1
شوال 1440 هـ / يونيو 2019 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

الأمن الفكري في بلاد الشام ومصر خلال الحروب الصليبية (490 - 692 هـ/(1090 1291-)م

نجيب عبدالرحمن بن خيرة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام: 2017-05-04 **تاريخ القبول: 2017-11-02**

ملخص البحث:

ليس الأمن الفكري الذي يتناوله هذا البحث خلال الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر هو الهيمنة الفكرية التي تعني قهر حرية الرأي، ومصادرة الأفكار، والحجر على العقول، بل هي تعني ضرب طوق من السياج الفكري على العقائد الثابتة والتشريعات الإسلامية المقررة في الكتاب والسنة، في وجه تلك الأفكار التي حملتها الإسماعيلية الباطنية، والصليبية الكاثوليكية، والمتصوفة المنحرفة، وليس في ذلك حجر على العقول بقدر ما هو ضمان لوحدة العقيدة، وأمان الفكر، وتوحيد المرجعية، وتأكيد الوحدة الإسلامية، رغم التشظي الجغرافي والانقسام السياسي، وقد أبدع في القيام بهذا الدور العلماء والفقهاء والمدارس والمكتبات والمؤسسات الثقافية المختلفة في المجتمع.

الكلمات الدالة: الأمن الفكري، الحروب الصليبية، التنصير، التصوف، الفكر الباطني.

مقدمة:

1 ـ الإحياء السني الجديد في مواجهة الفكر الباطني.

2 ـ دور الفقهاء في صناعة الأمن الفكري خلال عصر الحروب الصليبية.

3 ـ الإسلام والتنصير المسيحي وجهاً لوجه.

4 ـ التصوف السني في مواجهة التصوف المنحرف.

الفكر هو خلاصة الجهود الإنسانية، وعصارة العقول الناضجة، وثمار التجارب الطويلة والخبرات المتعددة.

وفي حديثنا عن الأمن الفكري فإنه لا مناص من الإشارة إلى بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهي مجالات تتفاعل بينها وتنصهر في بوتقة واحدة.

والحق أن سيطرة الصليبيين على بلاد الشام في الفترة (490هـ ـ 692هـ/1090م - 1291م) وانتصار الفواطم بالسلاح في مصر، لم يكن عائقاً أمام أهل السنة ليقفوا في وجه المحتل عسكرياً، أو في وجه المنحرف فكرياً، من أن يحموا عقائدهم، ويؤمنوا فكر أبنائهم، ويتجلى ذلك في ما أُلِّف وصُنِّف من كتب، وما فُتح من مدارس، مما أثرى الحياة الثقافية، وأنعش سوق التآليف، وترك للأجيال تراثاً فكريًا ضخمًا شارك فيه الشعراء بقصائدهم، والكُتاب بأدبهم، والفقهاء بمصنفاتهم، والفلاسفة بمناظراتهم ، مما أخصب العصر الأيوبي وما تلاه من عصور، وأعطى للمرحلة ـ محل البحث ـ خصائصها واتجاهاتها، ونتائجها الفكرية المثمرة.

وإذا كانت بواعث الأمن الفكري في عصر ما قبل الحروب الصليبية هي الممارسة السياسية وتجلياتها في الحكم والثقافة، وما نتج عن ذلك من استقطاب حاد بين المذاهب والعقائد والفرق، فإن عصر الحروب الصليبية تميّز ـ في الأغلب ـ بتوحيد الجبهة الثقافية، وتوافق الرؤى، والتوجه لمواجهة فكر دخيل أصبح يهدد الكيان الجمعي لغالبية الأمة بكل ما يحمله من مذاهب فقهية، وتيارات فكرية، وهي بكل حمولاتها الثقافية تتراوح بين وحدة العقيدة وبين تنوع النظم والرموز والآليات والدلالات.

وليس يقصد بالأمن الفكري الذي نعالجه هو الهيمنة الفكرية، التي تعني قهر العقول إلا لفكر واحد، متخذًا الوسائل المتاحة مشروعةً كانت أم غير مشروعة، واستبداد أولي الأمر والسطوة بالمشهد الثقافي في المجتمع، واعتبار كل اعتراض على فكرهم وأحكامهم هو اعتداء على حقوقهم وتهديد لوجودهم.

كما لا يعني خلع صفات«العلمية» و«الالتزام» و«الإبداع» على فكرها، ورمي فكر المخالف «باللغو» و«الهوى» و«الانحراف».

فإنه لا شيء يضرُّ بالفكر وأمنه مثل هذا، لأنه يحجب الحقيقة مثلما يحجبها الرأي الواحد حتى ولو كان صوابًا، مما يُوقع الأمة جميعًا في مأزق الاستعلاء الفكري المقيت، الذي يُفضي ـ يقينًا ـ إلى التخاصم والتلاحي والتقاتل.

إن الأمن الفكري هو ضمان سلامة المنظومة الفكرية المتعلقة بالعقائد الثابتة والتشريعات المقررة والأخلاق العامة، مع مراعاة الثقافة المنبثقة من الأصول الموروثة ليحفظ المجتمع من التفكك والتلاشي والفناء.

ولكن الذي حدث خلال الحروب الصليبية مختلف بعض الشيء عن هذا الذي ذكرنا؛ إذ إن الأمة المسلمة حكامًا ومحكومين لملمت شتاتها، وتقاربت صفوفها، ورمت عن قوس واحدة العدو الهاجم على أوطانها من الخارج، مقتحمًا خصوصيتها الثقافية الجامعة، ومتخذًا من الطابور الفكري في الداخل مطيَّة ذلولًا يخترق به العقيدة وينسف النظام، ويفسد القيم، ويخضع الإنسان.

من هنا وجدنا أن الأمة على اختلاف مذاهبها الفقهية، وانتماءاتها السياسية، ومشاربها الفكرية، تقف صفًا واحدًا في مواجهة الباطنية المنحرفة، والعقائد المسيحية المُبشرة، والطوائف المتصوفة السكونية الضالة.

وبالرغم من التراجع السياسي الذي كانت تمر به الأمة حينئذٍ من ضعف الخلفاء العباسيين، وسيطرة القوى الأجنبية عليهم، وكثرة الانفصالات عن مركز الخلافة، حيث لم يبق للخلفاء سوى الدعاء لهم على المنابر في الجمعات والأعياد، ونزرًا يسيرًا من الهدايا !!، فقد تساند العلماء والحكام بالقلم والكتاب حينًا وبالسيف إن لزم الأمر حينًا، لحسم الأمر لصالح عقيدة الأمة الجامعة، ومصادر تشريعها المقررة، ومذاهبها المتنوعة، التي لا يُفضي الخلاف بينها إلا إلى التنوع والاختلاف لا إلى التقاتل والخلاف.

الإحياء السني الجديد في مواجهة الفكر الباطني:

بلغ النشاط الباطني أوجه في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث ضم بين صفوفه جماعات مختلفة يجمعها هدف مشترك هو إفساد العقيدة الإسلامية، والنيل من المؤسسات الحكومية التي تمثل هذه العقيدة...وقد وضعت الباطنية للعبادات والعقائد الإسلامية قاموسًا لغويًا يناسب التأويلات التي ابتدعوها، من ذلك قولهم إن كل ما ورد من الظواهر عن التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية هي أمثلة ورموز إلى بواطن، فمعنى الجنابة: إفشاء السر، والغسل: تجديد العهد على من أفشى السر، والكعبة: النبي، والباب: علي، التلبية: إجابة الداعي، والطواف بالبيت سبعًا: الطواف بالإمام إلى تمام السبعة، والنار: الجهل بعلوم الباطنية، والطهور التبري من كل مذهب يخالف مذهب إمام الباطنية[1].

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كان تاريخ العالم الإسلامي بأسره وليس تاريخ بغداد فحسب محكوما بشخص نظام الملك، الوزير الفارسي لسلاطين الأتراك السلاجقة طغرل بك (ت 455 هـ/ 1063م) وملك شاه. (485هـ/ 1092م). وفي تلك الأثناء بلغ التفكك السياسي أوجه ولم تكن هناك قوة واحدة تحكم العالم الإسلامي بأسره ولكن حكم الشريعة استمر بغض النظر عن انهيار المركز. وفي الوقت نفسه كان ذلك عصرًا تناقش فيه قضايا الفقه والعقيدة في إطار المدارس العقدية، ولعبت مدرستان كبيرتان دورهما في تلك الفترة: المعتزلة والأشعرية وكان المعتزلة يرون العقيدة الإسلامية من خلال تفسير أكثر عقلانية، وانتقدوا عناصر الاعتقاد الشعبي، وكان إصرارهم على التفسير المجازي يروق بقوة لفقهاء الحنفية، وكان الحنابلة من ناحية أخرى يعارضون بشدة التفسير العقلاني ويطالبون بالإيمان الكامل بالمعنى الحرفي للقرآن الكريم «الله يرى ويسمع ويغضب» وتتجاوز الكيفية حدود الفهم الإنساني، واعتبروا مشاغبين رجعيين بسبب عدم تسامحهم إزاء آراء الآخرين وترددهم في الإدلاء برأي شخصي في مسائل الشريعة.. وفي ما بين هذين الموقفين المتعارضين كان الأشاعرة يتخذون موقفًا وسطًا؛ وفي موقفهم هذا «تخفف» المذهب السني بقليل من التعبيرات العقلانية، فقد سلموا للحنابلة بالتفسير الحرفي للقرآن، على حين احتفظوا بحق الدفاع عنه بطريقة عقلانية.. وهذه المنطقة الوسطى لقيت ترحيبًا كبيرًا من الشافعية.

(1) ماجد عرسان الكيلاني. **هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس**. ط2، دبي: دار القلم، 2009م، ص-ص69 - 71.

وكانت هذه الخلفية الفكرية التي واجهت الوزير السلجوقي (نظام الملك)، والذي ظهرت عبقريته في فهمه أن موقف الحنابلة الحرفيين المعادين للعقلانية والأشعرية لا يمكن أن يُشكل فكرًا إيديولوجيًا يُمكِّن من بناء مذهب سُني وسط عليه، في زمن كان الدين بحاجة إلى: «التنفس»، والتشدد بحاجة إلى «التوازن» واكتساب المزيد من العمق، والأمة الإسلامية الكبيرة بميولها الروحية داخل حدود العقيدة بحاجة إلى «المواءمة».

وهنا جاء أبو حامد الغزالي (ت505هـ /1111م) وحظي بالاعتراف بأنه رأس الإحياء السُني وزعيمه بلا منازع في الفترة السلجوقية، وكانت رؤية الغزالي قريبة من رؤية نظام الملك، لا لمجرد أن الأخير كان حاميه وراعيه، بل لأن الرجلين فهما أنه ينبغي في عصر ما بعد الخلافة الربط بين الحكم والدين..

ولقد درس الغزالي أفكار وتعاليم ومبادئ الفرق والمذاهب والنحل والمدارس العقلية والاتجاهات الفكرية في عصره باستقصاء قائلاً: «فابتدرتُ لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق. مبتدئاً بعلم الكلام. ومثنيًّا بطريق الفلسفة، ومثلثًاً بتعلم الباطنية، ومربعًاً بطريق الصوفية»[1].

ولم يكن هجوم الغزالي على الفلسفة من حيث أنها تفكير عقلي حر يبحث عن حقائق الأشياء، إنما هاجمها كونها أصبحت في عصره جملة من المفاهيم غير المتجانسة من الفلسفة المشائية الآرسطية، مخلوطة بالأفلاطونية الحديثة، يراد منها إخضاع النص الديني الإسلامي لطرائق تفكيرها واستدلالاتها، فأظهر عجزها وتهافت أعلامها مقارعًا الحجة بالحجة والدليل بالدليل، مركزًا في هجومه على الفلسفة الميتافيزيقية أو ما يسمى بالجانب الإلهي من التفكير الفلسفي.

ومع الغزالي تمَّ التبشير بعصر الأشاعرة، والاعتراف أيضاً بالإسهامات الأكيدة التي قدَّمتها المذاهب الأخرى في مجال الفكر، وبهذه الطريقة شُيِّد مذهب سُني جديد متكامل وشامل. رحّب حتى بمخالفيه وأسبغ عليهم صداقته.

وقد استطاع هذا المذهب الأشعري «تبيئة» المنطق اليوناني، وجهد في تعريب العبارة المنطقية، كما يشهد بذلك «البرهان في أصول الفقه» و«المستصفى» للغزالي، و«التمهيد» للقاضي الباقلاني..

(1) الغزالي، أبو حامد. **المنقذ من الضلال.** مصر: دار الكتب الحديثة، ص118.

وقد استطاع الغزالي أن يكون لسانًا أمينًا في التعبير عن هذا الموقف الأشعري وزمانه الثقافي.. وقد تجلى ذلك في صراعه الإيديولوجي المفعم بالحماسة الشديدة، متصديًا بالنقد والتقويض للأطروحات الباطنية، وفي نشاطه بالكتابة الغزيرة في ذلك، ويمكن أن نقول أن الأشعرية كانت تمثيلاً للثقافة العربية الإسلامية في مرحلة من مراحل عطائها الخصب، وإقبالها على الثقافات الخارجة عنها والمحيطة بها، وتصوير لها، بالمقابل في سعيها نحو الانغلاق على الذات وقراءة تلك الثقافات بمنظارها الخاص، وصهرها في أتون المعركة الضارية التي كانت تخوضها ضد الخصم الباطني القوي[1].

وإذا كان المذهب الأشعري في البداية كان مذهبًا حرفيًا وصداميًا، فقد تحوّل بفضل الحكمة السياسية والفطنة لرجال مثل نظام الملك والغزالي وابن هبيرة، إلى مذهب واسع وشامل بما يكفي لأن يجمع داخل سياقه الصحيح آراء الأغلبية الغالبة من المسلمين، وحينذاك بدأت هذه الفكرة تنتشر في بلاد الشام الذي شهد وصول الصليبيين[2].

دور الفقهاء في صناعة الأمن الفكري خلال عصر الحروب الصليبية:

فضلاً عن المواجهة العسكرية التي تتطلب التخطيط المحكم، والسلاح الوفير، والاستعداد الدائم، فإن فقهاء المسلمين خلال الفترة الصليبية أبلوا البلاء الحسن في شحذ الهمم، وتعبئة الأمة روحيًا، وبثّ الوعي فيها فكريًا وإحياء روح الجهاد في نفوس أبنائها، وحمايتها، من الخنوع والخضوع، والرضى بالأمر الواقع..ممَّا أثمر مواجهة شاملة على جميع الأصعدة.

«وقد وجدنا في هذه المرحلة عددًا من العلماء أوْلي التأليف في موضوع الجهاد أو عقد جلسات في المساجد وإلقاء دروس في فضائل الجهاد والمجاهدين أهميةً كبيرة، حتى إن القائد المجاهد نور الدين محمود بن زنكي ـ انطلاقًا من وعيه بأهمية هذا الأمر ـ لم يكتف بالإيعاز إلى العلماء بالتصنيف في موضوع الجهاد؛ بل إنه اهتمَّ شخصيًا بذلك، فألف كتابًا في الحثّ على الجهاد...»[3].

(1) انظر: سعيد بن سعيد العلوي. **الخطاب الأشعري.مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي**. ط 1، بيروت: دار المنتخب العربي، 1992م، ص-ص 13 - 15.

(2) انظر. عبد الرحمن عزام. **صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني**. ط1، الدوحة: دار بلومزبري، 2012م، ص - ص 29 - 33.

(3) أسامة زكي زيد. **الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية**. الإسكندرية: مصنع الإسكندرية للكراس، 1980م، ص 101.

وكان الاتجاه إلى التأليف في الجهاد وفضله وفضائل الشام وبيت المقدس وغيرها من المدن الشامية، سمة من سمات هذا العصر واتجاهًا علميًا مطلوبًا لضمان أمن فكري يشمل حب الوطن والاستماتة في الدفاع عنه انطلاقًا من الانتماء له، والجهاد من أجله، فأُلفت الكتب التي تبين فضائل الجهاد ووجوبه، وما يدل عليه من الآيات والأحاديث، وفضائل بيت المقدس وبلاد الشام، ولا شك أن هذه الكتب تداولها طلاب العلم في مجالسهم فنشرت الوعي بينهم، وأسهمت في توفير الأمن الفكري والعسكري لبلادهم ومقدساتهم.

ومن العلماء المفكرين الذين اهتموا بالتأليف في موضوع الجهاد الإمام الفقيه الشافعي الدمشقي أبو الحسن علي بن مسلم بن الحسن السلمي (ت 499هـ/1106م)[1]، الذي يُعد أول من صنَّف في الجهاد من مفكري هذه المرحلة، وأملى سلسلة من الدروس داعيًا المسلمين إلى الجهاد، وقد أدرك بثاقب بصره الصلة التاريخية الوثيقة بين الحملات الصليبية على بلاد الشام حينذاك، وبين النشاط الصليبي السابق في الأندلس وصقلية وجنوبي إيطاليا... ومن المرجح أن دروسه وأماليه وتوقيتها تركت أثرًا كبيرًا في معاصريه، ومن الأمور الملفتة للانتباه أنه بعد سبعة أعوام فقط من رحيل السلمي، وتحديدًا في عام 1113م تمَّ إلحاق هزيمة فادحة بالصليبيين في صورة معركة الصنبرة أو الأقحوانة، حيث هزم الملك بلدوين الأول (1100م –1118م)[2].

ولا تكمن أهمية كتاب (الجهاد) للسلمي كونه يحث على الجهاد ويُرغب فيه فحسب، بل تأتي أهميته الفعلية من كونه أول كتاب يعالج قضايا موضوع الجهاد الدفاعي، فقد كان الجهاد الإسلامي منذ بزوغ فجر الإسلام قائمًا على الهجوم لكونه مرتبطًا بموضوع تبليغ الدعوة بالطريقة السلمية طبعًا، وكسر الحواجز التي تقف في طريق الدعاة إذا ما استدعى الأمر بالجهاد الهجومي القائم على القتال، ولذلك كانت الكتب المصنَّفة في فقه الجهاد تتحدث عنه من هذه الزاوية، أما السلمي فقد وجد نفسه أمام أمر على النقيض تماما من الأمر السابق، فقد وطِئت خيل الكفار جزءًا من ديار الإسلام، وينبغي أن يكون للفقه الجهادي هنا أوامر أكثر صرامة وشدّة، وبالطبع سوف تضيق ـ بشكل كبير ـ مساحة أو جملة الرخص الممنوحة للمسلمين والمتوفرة في مرحلة الجهاد الدفاعي، وأصبح الأمر هنا

(1) انظر: شمس الدين الذهبي. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993 م، ج36/ص 328.

(2) انظر: محمد مؤنس عوض. **معجم أعلام عصر الحروب الصليبية**. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2015م، ص ص- 293، 294.

بحاجة لإعادة ترتيب الأولويات، وكذلك التصدي لجملة من المستجدات الفقهية[1].

كما كان من رواد الفكر في عصر الحروب الصليبية المؤرخ والفقيه ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الشافعي (ت 571هـ /1175م) إمام في الحديث، ومؤرخ شهير، له مصنفات كثيرة منها: تاريخ دمشق[2].

عاش ابن عساكر ظروف حصار الصليبيين لمدينة دمشق، ومحاولتهم الاستيلاء عليها سنة (543هـ /1148م)، فرأى أن الخروج من المأزق يحتاج إلى أمرين:

أولهما: إيقاظ المجتمع وذلك بالعودة به إلى منابع الدين الأصيلة من تعاليم الكتاب والسنة.

ثانيهما: وجود قيادة رشيدة تقود الأمة إلى النصر، وتعرف عناصر ومقومات ذلك النصر، وتسعى لتوفيرها.

فكان التقاء المفكر المجاهد الحاكم نور الدين بالمفكر المجاهد الفقيه ابن عساكر، عبر مجالس العلم في دار السنة في دمشق والتي عرفت فيما بعد بدار الحديث النورية، وتولى ابن عساكر الإشراف عليها والتدريس فيها[3].

وقد سخّر ابن عساكر كل قدراته العلمية وإمكاناته الفكرية في دعم المجهود الحربي عن طريق التصنيف وعقد مجالس العلم والإملاء وغيرها من وسائل الأمن الفكري المطلوبة خلال هذه المرحلة العصيبة.

وهناك طائفة من الفقهاء ظهروا بعد صلاح الدين الأيوبي، وأسهموا في الجهاد الثقافي، ووفّروا للأمة مقوّمات النصر في ميدان الفكر كما النصر في ميدان القتال..ويمكن

(1) فيصل بجاش علي حميد.. **التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية**. رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ، 2006م - 2007م، ص-ص101 - 102.

(2) انظر ترجمته عند: شمس الدين الذهبي. **سير أعلام النبلاء.** تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985 م،ج22/ص 145.و، تاج الين السبكي.: **طبقات الشافعية الكبرى.**تحقيق: محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو،ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع1413هـ، ج7/ص 70.و ابن عساكر. **تاريخ دمشق**. مقدمة المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م، ج1/ص12.

(3) انظر: فيصل بجاش علي حميد. **التيارات الفكرية في بلاد الشام**. مرجع سابق، ص-ص 121 - 122.

أن نذكر على رأسهم العزُّ بن عبد السلام السلمي الدمشقي (ت660هـ /1261م) المُلقب بسلطان العلماء، وقد انتهت إليه الإمامة، وبلغ منزلة الاجتهاد قال عنه الإمام السبكي: «شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه؛ المُطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علمًا وورعًا وقيامًا في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان..»[1]. ووصفه ابن العماد بقوله: «الإمام العلّامة، وحيد عصره، سلطان العلماء»[2].

كان للشيخ العز شرف الجهاد بنوعيه، وكان يدعو إليه ويكتبه في كتبه ورسائله، وهو القائل في رسالة الاعتقاد: «الجهاد ضربان، ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان...ولكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصرة دينه، إلا أن سلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديرًا أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام، ويُعزه بعزه الذي لا يُضام، ويحوطه بركنه الذي لا يُرام، ويحفظه من جميع الأنام...وعلى الجملة ينبغي لكل عالم إذا أذل الحق، وأخمد الصواب أن يبذل جهده في نصرهما، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول لأولى منهما...و المخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين، ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعة، فمن خشي على نفسه سقط عنه الوجوب وبقي الاستحباب ومن قال بأن التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ونأى عن الصواب»[3].

ومنهم القاضي بهاء الدين بن شداد (ت 632هـ /1234م) كتابًا في الجهاد، ألفه للسلطان صلاح الدين الأيوبي، جمع فيه آداب الجهاد، وكل الآيات التي نزلت فيه والأحاديث الواردة

(1) تاج الدين السبكي. **طبقات الشافعية الكبرى**. ج8، ص 209.

(2) ابن العماد الحنبلي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**.تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، 1986 م، ج 7، ص 522. محمد مؤنس عوض. **معجم أعلام عصر الحروب الصليبية**. مرجع سابق، ص- ص 291 - 292.

(3) السبكي. **طبقات الشافعية**. ج8، ص228.

في فضله وشرح غريبه ثم قدمه إليه[1].

ولم تقتصر المقاومة الثقافية على التصنيف في مجالات فقه الجهاد فحسب، بل تناولت مصنّفات العلماء والفقهاء مجالات أخرى نفذت إليها سهام الخصوم، وهي استنقاص الصحابة والارتياب في عدالتهم وإنكار فضائلهم؛ نذكر منهم الإمام المحدّث الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ/1223م) الذي ألّف كتابًا سمَّاه (منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين)، ويُعدُّ هذا الكتاب من أنفع الكتب التي وصلت إلينا في الردِّ على معتقدات الرافضة في الصحابة. كما ألف الحافظ المحدّث محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (ت 643هـ /1245م) كتابًا سمّاه: (النَّهي عن سبِّ الأصحاب، وما فيه من الإثم والعقاب).

وممَّن صنّف في الرد عليهم أيضاً الفقيه المحدّث يوسف بن خليل بن قراجان بن عبد الله الدمشقي الحنبلي (ت 648هـ /1250م) الذي جمع في جزء كامل الأحاديث الواردة في فضائل الخليفة عثمان ردّ فيه كل من ينتقص من عثمان بن عفان (رضي الله عنه) [2].

ولئن كان الاشتغال بالفلسفة في هذا العصر عُدّ من المحضور المنهي عنه لاشتمال بعض مباحثها بأغاليط العلم، والازدراء بالأديان، والاستنقاص من النبوات، وزرع الشكوك والريب في عقول الدارسين، فقد انبرت طائفة من العلماء للتصدي لهذه المباحث التي خرجت عن الفلسفة: التي تعني الحكمة في استقصاء الدليل والبرهنة على المسائل الإلهية والعقدية وغيرها..

وقد نظر إلى الفلسفة في هذا العصر بنوع من التوجس لابتعاد المشتغلين بها عن المنابع الأصيلة للفكر الإسلامي واستقائهم من علوم الأوائل مباحث تجافي المعلوم الثابت الصحيح من عقيدة المسلمين، وقد سُئل الإمام عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري عمَّن يشتغل بالفاسد من الفلسفة فأجاب: الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة. ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين. ومن تلبَّس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة

(1) بهاء الدين بن شداد. **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.** تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي،1994 م، ج1، ص 54.

(2) انظر: ناصر محمد علي الحازمي. **الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي.** رسالة ماجستير بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج1، ص- ص 72 - 74.

محمد (ﷺ). إلى أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المُنكرات المُستبشعة، والرقاعات المُستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - ولله الحمد - افتقار إلى المنطق أصلاً، وهو قعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن. فالواجب على السلطان - أعزَّه الله - أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويُبعدهم[1].

وهذا النص دليل على أن هذه الفئة من الناس تنفذوا في المؤسسات التعليمية للدولة، ونخروا المواقع الثقافية في المجتمع، وتصدَّروا التعليم والتوجيه فيها.

كما ظهر الفقيه الشافعي والمحدّث شهاب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم الحموي (ت642هـ /1244م) [2]، الذي أسهم في مواجهة ما يخالف السنة المحمدية، فكتب كتابه « الفرق الإسلامية » ويُعد هذا الكتاب عمدة في بابه برغم من كونه مفقودًا.. أورد فيه أقوال أصحاب المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والتي عُرفت في عصره...[3]

كما تصدى للانحراف الفكري في هذه الفترة أيضاً: الشيخ العلامة سيف الدين الآمدي (551 - 631 هـ / 1156 - 1233 م) [4]، الذي ألّف في الفقه والعقيدة والمنطق والكلام والحكمة..فمن كتبه التي ألّفها للدفاع عن العقيدة والتصدي للمذاهب الهدّامة كتابه: (الطريقة)، وهو كتاب يتناول مواضيع شتى في علم الخلاف والكلام كما ألّف عدة كتب أخرى تزيد عن عشرين مصنفًا للدفاع عن العقيدة الصحيحة ومحاربة الفرق الضالة، من أهمها: كتاب: (الذريعة في معرفة الشريعة)، وكتاب: (التيسير في الخلاف)، وكتاب: (منتهى السول في علم الأصول)[5]

---

(1) الذهبي. **تاريخ الإسلام**. ج14/455، **سير أعلام النبلاء.** ج23/8، ص143.

(2) السبكي. **طبقات الشافعية.** ج8/ص 115، حاجي خليفة. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.** بغداد: مكتبة المثنى، 1941م، ج2/ص1446.

(3) سميرة سالم السعيدي. **الحياة العلمية في مدينة حماه في العصر الأيوبي**. 578هـ -698هـ /1182م - 1298م. رسالة ماجستير بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ـ جامعة أم القرى، 2011م، ص 61.

(4) السبكي. **طبقات الشافعية**. ج8/306، خير الدين الزركلي. **الأعلام.** ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002 م، ج4، ص332.

(5) ابن خلكان.**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.تحقيق:** إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج3/ص 293، السبكي. **طبقات الشافعية.** ج8/ص306، حاجي خليفة. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.ج2**، ص1113، سميرة سالم السعيدي. **الحياة العلمية في مدينة حماه في العصر الأيوبي.** مرجع سابق، ص 62.

وتحقيقًا لضمان الأمن الفكري في المجتمع فإن علماء مدينة حماة مثلاً: أكَّدوا على تجنيب الصبيان في الكتاتيب من التعرض للأفكار الضالة والمذاهب الهدامة؛ فأوْجبوا على المؤدب أن يمنع الصبيان في الكتاتيب من حفظ شيء من شعر ابن الحجاج [1]، والنظر فيه، ويضربهم على ذلك، وكذلك ديوان (صريع الدلاء)[2] فإنه لا خير فيه، وكذلك الأشعار التي عملتها الروافض في أهل البيت فلا يُعرِّفهم بشيء من ذلك، بل يُعلمهم الأشعار التي مدحت بها الصحابة (رضوان الله) عليهم ليرسخ ذلك في قلوبهم[3].

وللأسف فقد اغتيل عدد كثير من هؤلاء العلماء الذين كانوا يُمثلون مراكز القيادة والتوجيه في ميادين السياسة والفكر والجهاد في سبيل الله.

الإسلام والتنصير المسيحي....وجهًا لوجه:

لم تكن الحروب الصليبية هي تلك الحملات العسكرية التي شنَّها الغرب الأوربي على الشرق خلال العصور الوسطى، لنهب ثرواته، والسيطرة على طرق التجارة فيه، والقذف بجموع الشعوب الأوربية المحرومة إلى بلاد النعيم هناك في بلاد الشرق فحسب؛ بل إن الهدف من إخضاع الأماكن المقدسة في فلسطين للسيطرة المسيحية وإبعاد السيادة الإسلامية عنها، كان يهدف أيضاً إلى محاولة لتنصير الشرق، وإخراجه من الدين الذي شحنه بقوة خارقة، واستطاع به في مدة وجيزة أن يبني حضارة شامخة، امتدَّ رواقها ليشمل معظم أقاليم العالم القديم، حيث كانت المسيحية جاثمة على صدور الشعوب التي غلبتها زمنًا مديدًا ليس بالقصير.

«إن الخيبة التي مُنيت بها الحملات الصليبية في الوصول إلى غايتها، وموت الدوافع التي كانت تدفع بالناس للالتحاق بها، مهّد الطريق لفكرة جديدة وهي: استمالة المسلمين

(1) ابن الحجاج أبو عبد الله الحسين البغدادي، شاعر العصر، وسفيه الأدباء، وأمير الفحش، و(ديوانه) مشهور في خمس مجلدات، وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي، المحتسب، الكاتب.وقد هجا المتنبي، ومدح الملوك، مثل عضد الدولة وبنيه. انظر: الذهبي. **سير أعلام النبلاء**.ج17، ص 59.

(2) محمد بن عبد الواحد، صريع الدلاء، وقتيل الغواشي. (ت412 هـ)، بصري سكن بغداد، وكان شاعرا ماجنا مطبوعا، الغالب على شعره الهزل والمجون، وديوانه في مجلدة، سافر إلى الشام، وتوفي بديار مصر. انظر: الذهبي. **تاريخ الإسلام**. ج9/ ص 211. **سير أعلام النبلاء**. ج19، ص 324.

(3) عبد الرحمن الشيزري. **نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة**. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 105.

واجتذابهم بطرق سلميّة وديّة، وهذه الفكرة هي أساس مبدأ التبشير المسيحي»[1].

ومن خلال المراحل التاريخية السابقة على اندلاع الحروب الصليبية، وجدنا أن المسيحية بذلت جهودًا مُضنية لغرس ديانتها في مناطق مختلفة في غرب وشرق أوربا، ممَّا شجع البابوية على التفكير في الخروج بالتنصير كمشروع ديني وسياسي خارج حدود القارة إلى آسيا. ممَّا أكسبها خبرة تنصيرية كبيرة، وجعل أبناءها في الغرب الأوربي شديدي التعصب والعداء لكل ما هو غير مسيحي، بل ورفض الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وتصوير العالم على أنه المجال الحيوي العام لنشر تلك الديانة على حساب معتنقي الديانات الأخرى ويلاحظ أن الحوليات الأوربية في القرون الوسطى نظرت إليهم على أنهم كفار (infidels) يجب إدخالهم إلى معسكر المسيحية ولو بالوسائل القسرية والقمعية[2].

«وقد كانت الدعاية الكنسية قد أشاعت أن المسلمين قد أرغموا المسيحيين على إنكار الاسم المسيحي وأجبروهم على التخلي عن شريعتهم المسيحية، وساقوهم إلى الإسلام دون إرادتهم، ومع أن تلك المزاعم لم تكن دقيقة، إلا أنها وفّرت مناخًا داعمًا للتنصير القسري، والذي مارسه الفرنجة على نطاق واسع خلال وقائع الحملة الصليبية الأولى.

وقد كان اليهود حقلاً للتجارب التنصيرية الأولى التي قام بها رعاع الحملة الصليبية الأولى، وكان من الطبيعي أن يستمر أولئك الصليبيون في سياستهم التنصيرية تجاه المسلمين، فعقب معركة (ضورليم آسكي شهر) (491هـ /1097م)، قام بعض القساوسة الكاثوليك بتكريس جهودهم لتعميد الجنود الأتراك المحتضرين، وتلقينهم كلمة الرب قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، ويبدو أن أولئك القسس كانوا يعتقدون أنهم يكسبون نفوس أولئك المسلمين الضالين للمسيح، ويضمنون لهم الخلاص الأبدي، ويُنقذوهم من الجحيم الذي ينتظرهم بعد الموت لجحودهم بألوهية يسوع وبنوته للرب الأب بحسب تصوراتهم»[3].

وأثناء الحصار الصليبي لمدينة أنطاكيا والذي استمر من (21 أكتوبر 1097م) حتى (3يوليو 1098م) تحوّل بعض الأتراك إلى المسيحية..وقام القساوسة المرافقون للحملة

(1) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني. **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستِشراق ـ الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه**. ط8، دمشق: دار القلم، 2000 م، ص 29.

(2) المرجع نفسه.ص- ص 93 ـ 94.

(3) محمد عبد الله محمد المقدم. **الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في المنطقة العربية في عصر الحروب الصليبية**. رسالة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة، 2010م. ص123.

الصليبية الأولى بغمسهم بماء المعمودية وتعليمهم الإيمان المسيحي...ومن غير المعروف أن ذلك التحول جاء بسبب رغبة من الجنود الأتراك أم نتيجة لجهود الفرسان الصليبيين في تزيين المسيحية لأولئك الأتراك، وجاء دور القساوسة مكملاً بالتأهيل لتلقي العماد المسيحي[1].

ويرى الدكتور محمد مؤنس عوض: «أن الاتجاه التنصيري جاء من خلال أهداف مزدوجة حرص الصليبيون على تحقيقها وذلك من خلال تغيير الواقع الديموغرافي، وكذلك الطوبوغرافي للمنطقة، ثم بعد ذلك يأتي التغيير العقائدي...»

فعلى المستوى العقائدي: نجد أن السياسة التنصيرية للصليبيين سعت في البداية إلى معرفة عقائد المسلمين، فترجموا القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية (Lingua Latina) عام (1143م / 538هـ) وذلك بناءً على تكليف من جانب بطرس الموقر (Peter the Venerable) رئيس دير كلوني (Cluny) بفرنسا..وكانت تلك الترجمة أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة، وهي لا تلتزم بالنص من ناحية الدقة والحرفية، كما أنها لا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل القرآني، وإنما تقوم باستخلاص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة ثم تقوم بالتعبير عن هذا بترتيب خاص من أفكار المترجم، ويُضاف إلى ذلك وجود أخطاء جزئية في فهم بعض الآيات القرآنية في تلك الترجمة...وجدير بالذكر أن بطرس الموقر نفسه ألف كتابًا مهمًا في مجال التنصير بعنوان: (دحض العقيدة الإسلامية). وهو باللاتينية (Liber Contra Sectam Sive haeresim Saracenorum)[2].

ولضمان حماية النصارى من المؤثرات الإسلامية، والرغبة في انتشار النصرانية بين المسلمين، أرسلت الكنيسة وُعاظًا إلى الجماعات المناوئة لها، ليَعظوا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى قال وليم الطرابلسي أسقف عكا: «نريد مُرسلين لا جنودًا لاسترداد الأرض المقدسة » [3].

وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي بدأت الرهبنات تنتشر في الشام، ففي عام 1154م أسّس راهب صليبي الرهبنة (الكرملية) في جبل الكرمل، وقد انتشرت في الشام

(1) المرجع نفسه.ص 124.

(2) المرجع نفسه. ص 111، هامش 13.

(3) فيليب حتي. **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر**. ترجمة وتحقيق أنيس فريحة، بيروت: دار الثقافة، ص- ص394 - 395.

وأسست لها مركزًا في طرابلس، وفي القرن الثالث عشر جاءت إلى فلسطين إرساليات فرنسيسكانية [1] ودومنيكانية [2]، ففي عام 1219م قدِم إلى الشرق القديس فرانشيسكو داسيسي وأسّس بعد قدومه بسنتين الرهبنة الفرنسيسكانية في عكا ثم انتشرت في طرابلس وبيروت[3].

وقد مارس فرانشيسكو التنصير مع الملك الكامل حيث عرض عليه النصرانية، وطلب من الملك أن توقد له نار ليدخل فرانشيسكو منها، فإن خرج حياً كان على الملك أن يتنصّر. ولكن الملك الكامل رفض هذا الرِّهان، عطفا على هذا الراهب، لئلا يكون وقودًا للنار، فأمر جنوده بإيصال هذا الرجل إلى قومه المرابطين بدمياط [4].

وفي عام 1230م وصلت الشام إرسالية دومنيكانية للقيام بنشر النصرانية بين المسلمين، وكان لها انتشار واسع في فلسطين، وفي عام 1253م أنشأ البابا أنوسنت الرابع؛ أول مجتمع تنصيري مهمته نشر النصرانية بين المسلمين، إلا أن تطوير الأسلوب التنصيري جاء على يد ريموندلل، وهو من أصل إسباني كان قد تعلم اللغة العربية واطلع على التراث الإسلامي، وقد أعد خطة لتنصير المسلمين عرضها على البابا سلستين الخامس، وفي هذه الخطة ركّز ريموندلل على أن تتخذ الكنيسة والمدارس وسيلة للتنصير، وقد تحمَّس لهذه الفكرة وقام بتدريب زملائه الرهبان على كيفية نشر النصرانية بالطرق السلمية وبواسطة الحب والصلوات وانهمار الدموع والأعمال الإنسانية، وبعد عشر سنين من إعداد خطته

(1) Franciscans رهبنة أسسها فرانشيسكو داسيسي Fransesco D`Assisi (1182 - 1226م) في سنة 1207م، وفي عام 1209م حصا فرانشيسكو على اعتراف البابا أنوسنت الثالث، وقد كثر عددهم حتى بلغ خمسة آلاف خلال تسع سنوات، وقد وضع فرانشيسكو نظاما لهم حظي بتأييد من البابا هونوريوس الثالث عام 1123م، وانتشر أعضاء هذه الرهبنة في كثير من المدن الأوربية وفلسطين..Encycl.brit Micropaedia.15th Edition.1983.vol.IV.P.273-274 انظر: عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي. **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**. ط1، الرياض، 1994م، ص 167. هامش 1.

(2) Dominicane رهبنة كونها القديس دومنيك St.Dominique(1170 - 1221) في عام 1215 في تولوز، وفي 22ديسمبر عام 1216 اعترف البابا هونوريوس الثالث بأخويته، وفي سنة 1218 بعث دومنيك أتباعه للدراسة في جامعات أوربا وقد تأثر بهم كثير من الطلاب ثم انتشرت هذه الرهبنة في العالم الإسلامي. Encycl.brit.Micropaedia .Bol.III.P.614-615 انظر: **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**. مرجع سابق، ص 167. هامش 2.

(3) فيليب حتي. **تاريخ لبنان**..مرجع سابق، 394 - 395، عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي. **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**. مرجع سابق، ص 167.

(4) عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي. **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**. مرجع سابق، ص 167.

قام بمحاولة تنصير المسلمين في الشرق وشمال إفريقيا واتصل بالتتار يدعوهم إلى دينه، وكان يحث البابوات على العمل من أجل التنصير، وبإلحاح وافقت البابوية على إنشاء ست مدارس لتعليم اللغات الشرقية [1].

ولكن كل تلك المحاولات لم يكن لها محل استجابة في نفوس المسلمين، فإيمانهم الراسخ، وعقائدهم الثابتة وقفت سدًا منيعًا لجميع محاولات التنصير التي حاولها الصليبيون خلال فترة وجودهم في الشرق، ولم يلق المنصِّرُون استجابة لدعوات التبشير النصراني التي رافقت حملات الغزو العسكري اللهم إلا ما ذكرته بعض المصادر من حالات فردية لا تعكس روح الثبات العام للمسلمين.

من ذلك ما ذكره المؤرخ أسامة بن منقذ ـ الخبير بشؤون الصليبيين ـ عن أمر شاب مسيحي اعتنق الإسلام وحسُن إسلامه ـ ظاهريًا في صورة الصلاة والصوم، وتم تزويجه بامرأة مسلمة صالحة، ورُزق منها بابنين بلغا من العمر قرابة ست سنوات، ومن بعد ذلك؛ اتجه ذلك الشاب إلى (أفاميه) الخاضعة لسيادة الصليبيين، وأعلن ارتداده عن الإسلام، وعودته مرة أخرى إلى المسيحية، وشمل ذلك الارتداد بالطبع طفليه الصغيرين المغلوبين على أمرهما بحكم سيطرة والدهما[2].

أما رواية الرحالة الأندلسي ابن جبير؛ فأشار إلى رجل مغربي صحبه في الطريق من دمشق إلى عكا وكانت الأخيرة خاضعة للسيادة الصليبية فيقول: « وهو من بونة (عمل بجاية)، كان أسيرًا فتخَّلص على يدي أبي الدّر المذكور وبقي في جملة صبيانه، فوصل في قافلته الى عكا، وكان قد صحِب النصارى وتخلَّق بكثير من أخلاقهم، فما زال الشيطان يستهويه ويُغريه الى أن نبذ دين الإسلام فكفر وتنصّر مدة مقامنا بصور. فانصرفنا الى عكا، وأعلمنا بخبره، وهو بها قد بطس ورجس، وقد عقد الزنار، واستعجل النار، وحقت عليه كلمة العذاب وتأهَّب لسوء الحساب، وسحيق المآب، نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، ولا يعدل بنا عن الملة الحنفية، وأن يتوفانا مسلمين،

(1) محمود الحويري. **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، القاهرة: دار المعارف، 1979م، ص- ص 254 - 255. عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي. **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**. مرجع سابق، ص- ص 168 - 169.

(2) انظر: أسامة بن منقذ. **الاعتبار**.حرره فيليب حتي، د. ف.مصر: مكتبة الثقافة الدينية،ص 131. محمد مؤنس عوض. **الحروب الصليبية**..مرجع سابق، ص98

بفضلـه ورحمتـه» [1].

«ومـن الجلـي البيّـن أن الفـارق الأساسـي بيـن روايتـي أسـامة بـن منقـذ، وابـن جبيـر، أن الرجـل المغربـي كان مسـلمًا وارتـدَّ إلـى النصرانيـة، أمـا الشـاب الـذي لجـأ إلـى الصليبيين فـي (أفاميـه) فـكان مسـيحيًا ثـم تحـوّل إلـى الإسـلام ثـم ارتـدّ عنـه إلـى المسـيحية، ويلاحـظ أن أسـامة بـن منقـذ أورد تلـك الحادثـة بصـورة منفـردة، ولـم يـورد فـي كتابـه إشـارة أخـرى لحادثـة مشـابهة للتنصيـر سـواءً الفـردي أو الجماعـي، ممـا يعكـس ـ علـى الأرجـح ـ قلـة إن لـم يكـن نـدرة تلـك الحـالات، مـع عـدم إغفـال أن ارتـداد الرجـل المغربـي أدى ـ بالضـرورة ـ إلـى ارتـداد ابنيـه؛ وهـو أمـر يعكـس الفـارق فـي ارتـداد الأعـزب، عـن الأب صاحـب الأسـرة» [2].

« وإلـى جانـب تلـك الحـوادث الفرديـة للارتـداد عـن الإسـلام، هنـاك حادثـة جماعيـة مهمـة لا تغفـل فـي صـورة ارتـداد جماعـي واعتنـاق للمسـيحية، وذلـك فـي شـمال الشـام وبالتحديـد فـي (بزاعـة) فـي شـمال شـرق حلـب، حيـث حدثـت حملـة صليبيـة بيزنطيـة هنـاك عـام 1138م /532هـ، بقيـادة الإمبراطـور البيزنطـي حنـا كومنيـن (1118- 1143م /512- 537هـ)، وقـد تمـت مهاجمـة حصـن بزاعـة، وفـي أعقـاب الحصـار الـذي فـرض عليـه؛ استسـلم المسـلمون بعـد وقوعهـم فـي قبضـة أعدائهـم، غيـر أنهـم نكثـوا بعهودهـم، وغـدروا بهـم، وفـي تلـك الأحـداث تنصَّـر قاضـي بزاعـة، ومـا يُقـدَر بأربعمائـة مـن المسـلمين، ويقـرر البعـض ان مثـل ذلـك الاعتنـاق كان مـن قبيـل التقيـة، والتـي تعنـي أن يُبطـن المـرء عقيدتـه ويُظهـر عكسـها، وهـي التـي يُجيزهـا الإسـلام وقـت الخطـر المحـدق بأهلـه.

ومـن المتصـور أن تلـك الحادثـة تُعـد أكبـر عمليـة ارتـداد عـن الإسـلام واعتنـاق المسـيحية، ولا نغفـل فـي هـذا المقـام الارتباطـات القسـرية التـي لازمتهـا، الأمـر الـذي يعكـس لنـا أن الصليبييـن عجـزوا ـ خـلال ذلـك العصـر ـ عـن طـرح المسـيحية طرحًـا جماعيًـا دون وسـائل قمعيـة أو قسـرية ممـا يعكـس إخفاقهـم فـي هـذا الشـأن » [3].

وليـس غريبًـا أن يجـد النصـارى الصليبيـون مـؤازرة مـن الباطنيـة الإسـماعيلية النزاريـة[4]

(1) ابن جبير. **رحلة ابن جبير**. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص 254.

(2) محمد مؤنس عوض. **الحروب الصليبية**.مرجع سابق، ص 99.

(3) المرجع نفسه. ص- ص 100 - 101.

(4) **النزارية**: طائفة من الشيعة الإسماعيلية ويقال لهم الحميرية والصالحية: قالوا العالم قديم والزمان غير متناه والأرواح تتناسخ، وأنكروا المعاد والجنة والنار، وقالوا الإمامة بعد المستنصر لولده نزار لأن المستنصر نص

التـي مـدَّت يـد العـون للصليبيين نكايـة فـي أهـل السـنة الزاحفيـن علـى بـلاد الشـام، فأرسـل زعيمهم راشد الدين سنان إلى الملك عموري الأول عام (ت569هـ /1173م)، يعرض عليه التحالف مقابل إعفاء النزارية من الجزية السنوية التي يدفعونها للداوية، ووفقا للمصادر الصليبية فقد عرض سنان نبذ العقائد التي رضعها منذ الصغر، والدخول في الحظيرة المسيحية هو وجميع أتباعه وأنصاره.

وقد عبَّرت تلك المصادر عن إعجابها بزعيم النزارية في الشام ووصفته بأنه كان رجلاً جيدًا وعظيمًا وفي غاية الفصاحة والبراعة والإخلاص، فعزم الرجل على هجر شريعة الإسلام وسننه، وشرع في هدم المساجد، واقتنى الأناجيل وكتابات الرسل، ودرس المسيحية وأسرارها ومعجزاتها، ولقَّن أتباعه التعاليم المسيحية، وحفّزهم للصلاة وفق عادات الكاثوليك، وأبدى استعداده لطاعة الكنيسة الرومانية [1].

لقد كانت عقول المسلمين وأفكارهم ونفوسهم لا تسمح لعوامل التنصير أن تؤثر فيها، يوم كانت العواصم الإسلامية في العالم تعيش في خيرات مجدٍ خلَّفَهُ المدّ الإسلامي في العلم والحضارة والتقدّم، في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية المادّية والنظرية، بالإضافة إلى ألوان المعارف الروحية الدينية، والكمالات الأخلاقية، والنظم التشريعية الشاملة كل شؤون السلوك الإنساني الفردية والاجتماعية، والكفيلة بضمان الحق والعدل والسعادة بينما كانت عواصم العالم الآخر غارقة في أوحال الجهالة والتخلف، والبعد عن القيم الحقيقية للأخلاق الفاضلة الكريمة، والكمالات الإنسانية، والمفاهيم الصحيحة للحياة، بدءًا ومعاشاً ومعادًا[2].

ولما باءت جميع محاولات الصليبيين بالفشل في تنصير القطاع العام من الشعب جنودا كانوا أو رعايا أو أطفالا اتجهوا لمحاولة استمالة القيادات الإسلامية الحاكمة لتنصيرها على أساس أن ذلك سيُسهل جرّ القطاعات الشعبية الأخرى إلى النصرانية تبعا لما يؤمن به القادة ويعتنقوه.

على إمامته أولا ثم هجره وأوصى لابنه أحمد المستعلي، والمعتمد هو النص الأول ولا يجوز العمل بالنص الثاني مع وجود النص الأول، ثم بعده لولده الهادي ثم بعده لولده الحسن. انظر: نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي. **السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة**. تحقيق: مجيد الخليفة، ط1، القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، 2008 م، ص 77.

(1) انظر: محمد عبد الله محمد المقدم. **الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في المنطقة العربية في عصر الحروب الصليبية.** مرجع سابق، ص- ص145 - 146.

(2) حسن حَبَنَّكَة الميداني. **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**.... مرجع سابق، ص- ص 21 - 22.

ولدينا من ذلك العصر محاولتان: الأولى في صورة محاولة تنصير السلطان الكامل الأيوبي (615 - 635هـ /1218 - 1238م) خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة، حيث قدم إليه القديس فرنسيس الأسيزي ودعاه إلى اعتناق المسيحية، غير أن السلطان الأيوبي اعتذر عن قبولها وعامل ذلك القديس معاملة حسنة...وبلغ من تسامحه مع النصارى أنه كان يعقد مناظرات دينية بين العلماء المسلمين والبطارقة المسيحيين، من ذلك: مناظرة بين البطريرك كيرلس بن لقلق، وبولس البوشي مع عدد من فقهاء المسلمين [1].

أما المثال الثاني: فيتمثل في صورة الحملة الصليبية الثامنة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع (1226) (Louis IX - 1270م /622 - 666هـ) على تونس، وذلك خلال حكم المستنصر الحفصي (647 - 675هـ /1249 - 1277م)، وقد هدفت الحملة ـ بالإضافة إلى جانب مطامعها الاقتصادية والسياسية ـ إلى محاولة التنصير، مستغلة في ذلك معاملته الطيبة للتجار المسيحيين، الذين كانت تربطهم علاقات تجارية مع السلطنة الحفصية، بيد أن هدف الحملة باء بالإخفاق؛ إذ قاد المستنصر الحفصي التونسيين لمقاومة الغزاة وبالتالي فشلت المحاولة الثانية لتحويل قائد من قيادات المسلمين نحو المسيحية، وجاء موقف المستنصر الحفصي مدعمًا لموقف الكامل الأيوبي من قبل[2].

لقد أدرك المسلمون منذ البداية أن المشروع الصليبي لا يهدف إلى احتلال الأرض، والسيطرة على الحواضر والعمران، بل كان يهدف أيضاً إلى اختراق الهوية، والعبث بالعقيدة..فتوحدت صفوفهم، وانبرى علماؤهم في المشرق والمغرب على اختلاف مشاربهم في الرد على دعاوى النصارى، والذبّ عن حياض عقيدة الإسلام.

وذلك من خلال جملة من المسائل التي أبرزها: قضية دعوى ألوهية المسيح أو ببنوته، ودعوى صلب عيسى عليه السلام، ودعوى الفداء، وإثبات نبوة محمد (ﷺ) ومعجزاته، ودعوى انتشار الإسلام بالسيف واعتقادهم في الجنة ونعيمها.

وقد انبرى علماء المسلمين وفقهاؤهم على مرّ العصور في الرد على هذه الدعوى وتحقيق الأمن العقدي والفكري للأمة. وجدير بالذكر في هذا الشأن أن المسلمين سطروا تراثًا علميًا ضخمًا في هذا الباب طيلة القرون التي سبقت مقدم الصليبيين ممّا كوّن رصيدًا

(1) انظر: محمد مؤنس عوض.. **الحروب الصليبية**..مرجع سابق، ص 102.

(2) المرجع نفسه. ص 102.

تاريخيًا أفاد منه كل من اتجه للتأليف في هذا الصدد، ولئِن كانت هذه التصانيف والتآليف كتبها مؤلفوها من خارج بلاد الشام ومصر، فإن نفعها والهدف من تأليفها بلغ صداه أهل الشام ومصر، فأفادوا منها، ونفخت في طواياهم حبهم لعقيدتهم، ووثقت علائقهم بدينهم. ويمكن أن نذكر منهم:

ما ألّفه: علي بن ربن الطبري (ت 247هـ/ 861م) في كتابه: (الرد على النصارى)، وما كتبه الجاحظ (ت 255هـ/ 869م) في رسالته في (الرد النصارى)، وأبو منصور الماتريدي (ت 333هـ /944م)، في كتابه: (التوحيد)، والحسن بن أيوب (ت 372هـ /982م) في رسالة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في (الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح)، وأبو بكر الباقلاني (ت 402هـ /1011م)، في كتابه: (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة)؛ حيث خصَّ النصارى في هذا الكتاب بفصل منه، والقاضي عبد الجبار (ت 415هـ /1024م) في كتابه: (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، والماوردي (ت450هـ /1058م) في كتابه: (أعلام النبوة)، وابن حزم (ت456هـ/1064م)، في كتابه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل) خصّ النصارى فيه بثلاث فصول، وأبو الوليد الباجي (ت 474هـ/1081م)، في رسالة (في الرد على راهب فرنسا) «حنامقار» وجه رسالة للمقتدر أمير سرقسطة يدعوه للدخول في النصرانية، وطلب جوابًا على رسالته في كتاب، فكتب له أبو الوليد الباجي جوابًا تضمّن مسائل بيان التناقضات والغرائب في كتب النصارى، وإمام الحرمين الجويني (ت478هـ /1085م) في كتبه: (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)، وأبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) في كتابه: (الرد الجميل لإلهيه عيسى بصريح الإنجيل)، والشهرستاني (ت 549هـ /1154م) في كتابه: (الملل والنحل)، وأبو عبيدة الخزرجي (ت582هـ /1186م) في كتابه: (مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان)[1].

و الجدير بالذكر: ان مؤلفات الرد على النصارى خلال مرحلة الحروب الصليبية اتسمت ـ بصفة عامة ـ في هذا المجال بملامح رئيسة، وهي:

أولاً: أنها جاءت كرد فعل إسلامي لمحاولة التنصير التي قادتها البابوية من خلال

(1) انظر: بدر بن محمد طراد المعيقل. **جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية**. رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة ـ جامعة أم القرى 1425هـ. ص434 وما بعدها.

مشروعها الحربي في صورة تلك الحروب، حيث أدرك الفقهاء المسلمون ضرورة الدفاع عن الإسلام في مواجهة العدوان الذي يتعرض إليه في عقر داره، ولا ريب في أن ذلك الاتجاه منهم يعكس إدراكهم لخطورة المرحلة، وأهمية المواجهة العقائدية بين أبناء الإسلام وأبناء المسيحية الذين تعصبوا، وهي منهم بريئة.

ثانيًا: غزارة الإنتاج التأليفي في الرد على النصارى بصورة تكاد تكون غير مسبوقة على الأرجح في صورة مؤلفات نثرية أو منظومات شعرية..شمل المؤلفات والقصائد والرسائل.على نحو ما ذكرنا سابقًا.

ثالثًا: ساعدت الخبرة الطويلة التي توافرت للمسلمين في المرحلة السابقة على مَقدِم الصليبيين، وكذلك من خلال المناظرات مع رجال الدين المسيحي وجهد من تحوّل منهم إلى الإسلام على تدعيم الرد على النصارى في عصر الصليبيات ممّا دعم العقائد الإسلامية وجعلها مثار اهتمام بعض الصليبيين لدراستها والاقتناع بها ومن ثمَّ اعتناق الإسلام بالجملة..

وقد اعترفت بعض المصادر التاريخية الصليبية نفسها بحوادث اعتناق الصليبيين الإسلام أفرادًا أو جماعات..[1]، فعلى المستوى الفردي، نجد أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة قد عملت سحرها في نفوس بعض المسيحيين، حتى أن بعض فرسانهم انجذبوا إليه، وهجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم، وانضموا إلى المسلمين..

كما تذكر الروايات أن أحد الفرسان الإنجليز الذين انتسبوا إلى فرقة الداوية (Templars) وعُرف باسم روبرت أوف سانت اليانوس (Robert of St.Elianus) في عام (581هـ/ 1185م) ارتدّ عن المسيحية واعتنق الإسلام، وقيمة تلك الرواية تتمثل في أن الفارس ينتمي لأكثر الهيئات تعصبًا ضد الإسلام وأهله.

وتذكر الروايات أيضاً أن أسقف خابور واسمه (دانيال) ارتدّ عن المسيحية واعتنق الإسلام، كما أسلم عبد الواحد الصوفي الذي كان قسًّا راهبًا بكنيسة مريم سبعين سنة، وقد أسلم قبل موته بأيام[2].

(1) انظر: محمد مؤنس عوض.. **الحروب الصليبية**..مرجع سابق، ص- ص103 - 104.

(2) ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج13/ص184. زلفى الخرّاط. **الدعوة الإسلامية في عهد الدولة الأيوبية** ط1، بيروت: دار القلم، 2013م، ص491.

أما حالات الاعتناق الجماعي للإسلام؛ فنجد عدة أمثلة دالة عليها خلال ذلك العصر، وان اختلفت أعداد المعتنقين من حالة إلى أخرى.

ويمكن القول: إن المشروع التنصيري خلال عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر فشل فشلا ذريعًا في الانتشار عقائديًا بعد أن انتصر عسكريًا، وبعد قرنين من الزمان لم تنجح محاولات القساوسة في أوربا في التنفيس عن الطاقة الحربية والنزعة العدوانية والتعصب الديني لتلك القبائل التي أُريد لها أن تمارس العنف ـ بكل أشكاله ـ خارج المجتمع المسيحي في أوربا ضد أعداء الرّب من المسلمين وغيرهم، فاتجه القائمون على المشروع الصليبي فيما بعد إلى ضرورة تدعيم القوة العسكرية بحركة صليبية سلمية تكون سندًا وظهيرًا للقوة المسلحة، تُتبع فيها أساليب جديدة ووسائل متطورة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى في المنطقة، وذلك ما أفرزته محاولاتهم المتجددة خلال الحملة الاستعمارية الصليبية في العصر الحديث.

التصوف السني في مواجهة التصوف المنحرف:

في رصد حركة التصوف الإسلامي وتطوره منذ نشأته إبّان صدر الإسلام والقرن الأول للهجرة، وصولا إلى انحساره حوالي القرن العاشر يمكن أن نقول: أنه منذ القرن الثالث إلى أواسط القرن الرابع الهجري، ظهرَ فريق من المتصوفة تكلموا في قضايا التصوف بمنهج يختلف عن منهج الإمام الحارث المحاسبي والجنيد، بل هو امتداد للتيارات الصُّوفية الفلسفيَّة التي سبَقتِ الإسلام، فظهَرت فكرة «الاتِّحاد والحلول»، و«وَحْدة الوجود» و«الكشف والإلهام»، و«الفناء»، وهذا التصوُّف «يشملُ مجموعة مختلطة من التفكيرِ اليوناني، وبخاصة الأفلاطونيَّة المُحدثة، والمجموعة الهرمسية، ثمَّ التفكير الشرقي الغنوصي من هنديٍّ وفارسي، ثمَّ أمشاج من اليهودية والمسيحية والإسلام[1]».

في هذه المرحلة دنا التصوُّف من الفلسفة، فدانَ لها، واختَلَطت به، فجرّت في علومِه ومصطلحاته، فظهَر التصوُّف الفلسفي، وهذا التوجه بدَأ في القرن الرابع الهجري، وعلى رأسه الحسينُ بن منصور الحلاَّج(ت 309هـ/921 م)، ومن رجال هذه المرحلة أيضاً، أبو بكر محمَّد بن موسى الواسطي (ت 331هـ/943م)، وكان يدعو إلى التأمُّل في الله، وعدم ذِكره باللسان، ويعتبر ذكر اللسان غفلةً أكثر من غفلة اللاهين.

(1) علي سامي النشار. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**. ط9، القاهرة: دار المعارف،ج1، ص47.

وقد أدَّى ذلك إلى ظهور فكرة التخلِّي عن العبادات الظاهرة، والتحلُّل من التكاليف، وسقوط الأوامر والنواهي، وبسببه ظهَرت الإباحيةُ، التي أثرت فيما بعدُ في كثيرٍ من الطرق الصُّوفيَّة، ثم دخل التصوف في طور جديد، حيث تبلورت الطرق الصوفية، وشاعت الخوانق، والربط، والزوايا، ومن أبرزِ أعلام هذه الحقبة محي الدِّين عبد القادر الجيلاني الجيلي)ت 561هـ/1166 م) وإليه تُنسبُ الطريقةُ القادرية، ومن مشاهيرِ هذا الطور أيضاً أحمد بن أبي الحسين الرِّفاعي من بني رفاعة، وإليه تُنسبُ الطائفة الرِّفاعية البطائحيَّة.

وظهَرت بعد ذلك الشَّاذلية، ومؤسِّسُها هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، نسبةً إلى شاذلة في تونس)ت 656هـ/1258م)، وانتشَرت طريقتُه في مصر واليمن، ومراكش وغرب الجزائر.

وقد صَحِب ظهور الطرق الصُّوفية القول بالكرامات، وخَرْق العادات.... كما فشَت بدعٌ ومخالفات عقَدية في أصول الدين، وتجاوزاتٌ فقهيَّة، وصارَت لبعض الطرق طقوسٌ دينيَّة، واحتفالاتٌ وأعياد وشعارات دينية في الملبس والمَسكن، وأذكارٌ خاصَّة بكلِّ شيخِ طريقة، ويظهرُ أنَّ التصوُّفَ في هذا القرن كان قد كَثُر فيه الدُّخلاء وأصبَح المتصوفة يتظاهرون بالزُّهد، ويتواجَدون ويبكون عند الغناء، ويرقصون ويُغشى عليهم، وانصرَف المتصوفةُ عن العلم.

أما القرن الخامس فقد بدأ يشهد نوعًا جديدًا من التصوُّف، استطاعَ أن يجعلَ من نفسه ظاهرةً (رسميَّة) في المجتمع الإسلامي، وذلك حين راح بعضُ العلماء يعملُ على إحياءِ التصوُّف الحارثي، والجنيدي، في مواجهة التصوُّف الفلسفي الذي اعتنَق أفكار «الحلول والاتحاد»، و«وَحْدة الوجود» وما شاكَلها، فمنذ القرن السادس الهجري نجد مجموعةً أخرى من شيوخ التصوُّف الذين مَزَجوا تصوُّفَهم بالفلسفة، فجاءت نظرياتٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا هي صوفية خالصة، ولا هي فلسفة خالصة، منهم السهروردي (ت 587 هـ / 1191م) ومحيي الدين بن عربي(ت638هـ/1240م) وعمر بن الفارض (ت 1235 / 632م)، وعبد الحق بن سبعين (ت 669هـ/ 1271م) [1].

وقد انبرى الفقهاء للتصدي لهذا التصوف المنحرف حين أدركوا حجم خطره الفكري على مسالك التدين في الأمة، وخاصة حين ارتبطت كثير من طقوس المتصوفة بالعقائد

(1) انظر: بليل عبد الكريم. **نشأة التصوف وتطوره**.موقع: http://www.alukah.net/ بتاريخ 06/02/2012.

الفارسية القديمة، والمؤثرات الشيعية المناوئة، وعلى رأس من مثّل هذا التوجه المنحرف يحيى بن حبش الملقب بالسهروردي الحلبي (ت587هـ /1190م) الذي برع في علوم الأوائل وعلم الكلام، وصار من أبرع من كان في عصره في العلوم الفلسفية، حتى فُتن به الناس وقرّبه بعض الأمراء في بلاد الأناضول في ظل سلاجقة الروم[1].وقد وصفه المؤرخ ابن تغري بردي، بقوله: «وكان السهروردي رديء الهيئة، زري الخلقة، دنس الثياب، وسخ البدن، لا يغسل له ثوباً ولا جسمًا، ولا يقص ظفراً ولا شعراً، فكان القمل يتناثر على وجهه، وكان من رآه يهرب منه لسوء منظره وقبح زيّه» [2].

ومن جملة انحرافاته القول بمذهب « الإشراق » الذي هو فرع من فروع الفلسفة اليونانية، ويقوم على القول: بأن مصدر الكون هو النور. فهو يعبر عن الله سبحانه وتعالى بالنور الأعلى، ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من النور الأول. والمعرفة الإنسانية في مفهوم الإشراقيين «إلهام» من العالم الأعلى، يصل بواسطة عقول الأفلاك، وهو ما يسمى بالكشف أو الإشراق، أي ظهور الأنوار العقلية بعد تجردها.

وبهذه الفكرة، حاول السهروردي تفسير الوجود ونشأة الكون والإنسان، كما أنه حاول إبراز الفلسفة الزرادشتية القديمة من خلال فلسفته النورانية، والتعويل على فكرة النور وإشراق الأنوار لتبديد ظلمة الأجسام والمادة.

كما كانت كتابات السهروردي تدل على اعتقاده بوحدة الوجود الفاسدة، إذ كان يشير إلى أن حصوله على حكمة الإشراق لم يحصل له بالفكر، إنما كان حصوله بأمر آخر هو: الاتصال بنور الأنوار، الله وإشراق المعرفة منه على نفسه.

«ويرى السهروردي أن الإنسان يستطيع الوصول إلى الغاية القصوى التي ينشدها الصوفية بعامة، وهي الوصول إلى ما أسماه عالم القدس، أي الحضرة الإلهية، عن طريق الرياضة الروحية ومجاهدة النفس، وأنها عند وصولها إلى هذا المقام الأخير السامي، تتلقى من نور الأنوار (الله) المعارف الشتى. وقد ذكر السهروردي أنه وصل إلى هذه المرحلة

(1) انظر: محمد مؤنس عوض. **الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**. ضمن أبحاث دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى). ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2003م، ص- ص 84 - 85.

(2) ابن تغري بردي جمال الدين (ت: 874هـ).. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: دار الكتب، زارة الثقافة والإرشاد القومي، ج6، ص 114.

عندما فارق جسده، واتصل بالملكوت الأعلى[1].

و الحق أن كثيرًا من الآراء التي قال بها السهروردي غامضة غير مفهومة، وتنطوي على آراء مخالفة للعقيدة الإسلامية، وتقترب في مضمونها من فكرة وحدة الوجود، وتجعل ما أسماه (الحكيم المتألّه) في مرتبة الأنبياء أو أعلى درجة.

وقد عدّ السهروردي نفسه (القطب) الذي تبغي له الرئاسة، وأنه المؤهل ليكون خليفة الله!، الأمر الذي أدّى بعدد من الفقهاء إلى القول بتكفيره»[2].

وإذا كان يحلو لبعض الكتاب المعاصرين من وصف قتل السهروردي من قبل صلاح الدين الأيوبي من أنه خطأ فادح جنى على الفكر الإسلامي جناية كبيرة، وأسكت حرية التعبير، وأطفأ جذوة التنوير، مما أضعف العقل الإسلامي، وجعله نهبًا للجمود والأوهام. فإن صلاح الدين لم يُقدم على هذا القرار إلا بعد أن استشار الفقهاء واستفتى العلماء ممن يُعنون بالأمن الفكري للأمة فأفتوا بضرورة التخلص من رجل لا يحتفظ بقناعاته المنحرفة في نفسه بل ينشرها بين الناس ويربك فكر العامة، ويشوش عقائد المسلمين في الذات الإلهية، ويمزج في دعاويه بين الحكمة اليونانية والمقولات الفارسية القديمة من مزدكية ومانوية وزرادشتية، ومذاهب الصابئة في الكواكب والنجوم مع نزعات الصوفية المنحرفة..، مما جعل فقهاء حلب يرمونه بالزندقة والإلحاد ويكتبون إلى صلاح الدين بضرورة التخلص منه، لأن بقاءه إفساد لعقائد الناس، فما كان من صلاح الدين، بعد أن ثبت لديه كفر السهروردي، وثوريته الداعية إلى أفكار الإسماعيلية الباطنية الداعية إلى تقويض الحكم السني وإرجاع الحكم لبني علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، إلا أن كتب كتابًا إلى ابنه الظاهر غازي (ت613هـ /1207م) يأمره فيه بقتل السهروردي. ثم إنه لو لم يقتله لحدثت فتنة كبيرة، بين أنصار السهروردي وخصومه ممن يعتنقون مذهب أهل السنة عقيدةً وفقهًاً، تؤدي إلى إزهاق أرواح كثيرة، فينعكس أثر هذه الفتنة على تماسك الجبهة الداخلية، التي كان صلاح الدين حريصًاً أشد الحرص، على أن تبقى قوية ومتماسكة، وموحّدة، لتحقيق أسمى أمنياته، وأمنيات المسلمين، بطرد الصليبيين من بلاد الشام، الذين شكّلوا أكبر خطر هدد الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت.

(1) صلاح الدين يقتل السهروردي الزنديق، انظر:.www.alrased.netالأثنين 25/09/2006.

(2) انظر:.www.alrased.net المرجع السابق.

ولا مجال في مثل هذه الظروف الصعبة والقاسية، لإفساح المجال أمام المناقشات الفلسفية التي تؤدي إلى تشويش الأفكار وتشتتها[1].

وإذا كان السهروردي قد أثار الجدل من حوله فإن بلاد الشام استقبلت أحد كبار متصوفة الإسلام وهو الشيخ محيي الدين بن عربي (ت 633هـ /1236م) الذي ألّف في التصوف تآليف كثيرة من شعر ونثر، من أشهرها (الفتوحات المكية)، و(فصوص الحكم)، و(ترجمان الأشواق)، ولُقب عند كثير من الناس بلقب « الشيخ الأكبر»، ونهل ابن عربي من منابع فكرية متنوعة كالقرآن والحديث وعلم الكلام والفلسفة المشائية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة الغنوصية المسيحية، والرواقية وفلسفة فيلون اليهودي، كما انتفع بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ومتصوفة الإسلام المتقدمين عليه، ولكنه صبغ هذه المصطلحات جميعها بصبغته الخاصة وأعطى لكل منها معنى جديدا يتفق مع روح مذهبه العام في وحدة الوجود...ويعد كتاب (الفتوحات المكية) أوسع موسوعة في التصوف في اللغة العربية، أودع فيه أكثر نظراته التصوفية، وقسّمه إلى ستة فصول: أولها في المعرفة، وثانيها في المعاملات، وثالثها في الأحوال، ورابعها في المنازل، والخامس في المغازلات، وآخرها في المقامات، وكان يقول: إن ما يكتبه يأتي إليه بطريق الوحي في حالة الغيبوبة والمجاهدة.

ومن الغريب أنه كان على مذهب الظاهرية في الفقه، وكتاباته من أعمق الباطنية في التصوف، وقد قال: إن هذه الموجودات مكونة من صورة وروح، وعنده أن الصورة هي التي سماها أرسطو « مادة »، والروح ما سماها أرسطو « صورة » وأعلى هذه المقامات أو الصور هو الإنسان لما أودع فيه من القوى التي تتجلى فيها صفات الله وأسماؤه، فهو كالمرآة تنعكس عنها حقيقة الله وذاته. وله أقوال كثيرة في المواجيد والفناء [2].

ومن أقواله: أَنَّ نبوّة التَّشريع انقطعت، وأَمَّا نبوّة التَّحقيق فلم تنقطع، وهي الولاية عندهم. وقد صرَّح ابن عربيّ في فصوص الحكم أَنَّ الولاية أعظم من النّبوّة، بل أكمل من الرِّسالة، ومن كلامه في ذلك قوله:

مقام النّبوّة في برزخٍ.....فويق الرَّسول ودون الوليّ

(1) نعمان الطيب سليمان، **منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة**، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية. القاهرة، 1991م، ص 521.

(2) أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2013م، ج4، ص 905.

وقد تأثر بأقواله ومذهبه طائفة من الناس، وتبعه خلق كثير من المتصوفة، قال ابن حجر: « هو محيي الدين بن عربي كان والده من كبار المشايخ العارفين وله مصنفات عديدة وشعر كثير وله أصحاب يعتقدون فيه اعتقادا عظيمًا مفرطا يتغالون فيه، وهو عندهم نحو درجة النبوة ولم يصحبه أحد إلا وتغالى فيه ولا يخرج عنه أبدًا ولا يفضل عليه غيره ولا يساوي به أحدًا من أهل زمانه وتصانيفه لا يفهم منها إلا القليل، لكن الذي يفهم منها حسن جميل وفي تصانيفه كلمات ينبو السمع عنها، وزعم أصحابه أن لها معنى باطنها غير الظاهر، وبالجملة فكان كبير القدر من سادات القوم، وكانت له معرفة تامة بعلم الأسماء والحروف وله في ذلك أشياء غريبة واستنباطات عجيبة » [1].

وفي خضم هذا الجدل والافتتان بتيارات فكرية غالية، كان هناك تيار صوفي سُني نزعت إليه طائفة من رجالات العلم والفقه في بلاد الشام ومصر..وحظي باهتمام من السلطة السنية القائمة التي تريد أن تواجه الانحراف بالاعتدال، والبدعة بالسنة، من خلال رعاية التيارات الروحية التي تدعوا أتباعها إلى التزكية والتربية والزهد مما أثر إيجابيًا في حياة المجتمع الإسلامي، وضبط سلوكات الناس، وخفّف من غلواء الغنوصية الباطنية الهاجمة..

وفي بلاد الشام ومصر ظهرت طوائف صوفية كثيرة منحرفة في أفكارها وعقائدها، وأصبحت لهم تنظيمات خاصة بهم، امتزجت كثير من أفكارهم مع عقائد الشيعة الروافض، وذلك بسبب مخالطتهم لهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: « ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وما وراء الحس، توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة..وملأوا الصحف منه، مثل الهروي في كتاب (المقامات) وغيره وتبعهم ابن عربي، وابن سبعين، ثم ابن عفيف وابن الفارض...في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم..»[2].

ومن ضمن الطوائف الصوفية المنحرفة التي نشطت في بلاد الشام ـ خلال الفترة محل الدراسة ـ طائفة (القلندرية) التي تزعمها محمد بن جمال الدين السادجي (ت621هـ

(1) ابن حجر العسقلاني. **لسان الميزان**. ط 2، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971م، ج5، ص315.

(2) ابن خلدون. **المقدمة**. ص455.

/1224م)، وتحلَّق حوله الأتباع والمريدون ليظهروا الكثير من البدع والأعمال المخالفة للشرع، وقد كان موقف السلطان الكامل بدمشق سنة (635هـ /1237م) نفي شيوخ هذه الطائفة وأتباعها إلى خارج دمشق [1].

ومن تلك الطوائف الصوفية المنحرفة أيضاً طائفة (اليونسية)، الذين تزعمهم الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي المشرقي القيني (619هـ /1222م)، قال عنهم الذهبي: « فهم شر الطوائف الفقراء ولهم أعمال تدل على الاستهتار والانحلال مقالا وفعالا...»[2] وقال عنهم: « من أولي الدعارة والشطارة والشطح وقلة العقل، أبعد الله شرهم»[3]

أما أخطرهم فطائفة (الحريرية) وهي تنسب لعلي بن الحسن بن منصور الحريري (645هـ /1247م) أظهر أحوالا ومكاشفات، وجعل أتباعه لهم لباسا خاصا قيل عنه أنه خارج عن الشريعة [4]. وأقبل على الطيبة والراحة والسماعات والملاح وبالغ في ذلك[5].

وبالرغم من أن كثيرا من طوائف المتصوفة المنحرفة وجدت لها رواجًا لبضاعتها في البيئة الإسلامية نظرًا لما انتشر من أخلاق الجشع والتكالب على الدنيا، والإقبال على مباهجها، وانتشار الأمراض الاجتماعية وشيوع الترف، وتحول العلوم الشرعية إلى قوالب جامدة، مملوءة بالتكلف والتمحُّل والحيل، ولا تُسهم في تغيير وجه الحياة، ولا في تربية سلوك الأحياء. فإن كثيرًا من علماء أهل السنة لم يقفوا موقفًا سلبيًا من هذا الانحراف الفكري الخطير بل بذلوا جهودًا في الرد عليهم من خلال تصنيف الكتب والرسائل.

نذكر منهم الفقيه العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ/1223م) الذي صنّف كتابًا في الرد عليهم سمَّاه (ذمّ ما عليه مدعو التصوف)

(1) شمس الدين الذهبي. **العبر في خبر من غبر.** تحقيق: أبو هاجر زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ص222.

(2) الذهبي. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. تحقيق**: بشار عوّاد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م، ج13، ص 593.

(3) اليافعي. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج4/ص37. الزركلي. **الأعلام.** ج8، ص263.

(4) ناصر محمد علي الحازمي. **الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي**. مرجع سابق، ج1، ص- ص 87 - 88.

(5) الذهبي. **العبر.** ج3، ص 252.

والكتاب هو رد على سؤال ورده في حكم ما يفعله بعض المتصوفة من الأعمال المنافية للشرع، وهذا نص السؤال « ما تقول السادة الفقهاء ــ أحسن الله توفيقهم ـ فيمن يسمع الدف والشبابة[1] والغناء، ويتواجد حتى أنه يرقص، هل يحل ذلك أم لا؟ مع اعتقاده أنه محب لله وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله » [2].

وتصحيحًا لمفهوم التصوف الحق، والزهد الصحيح، والتعلق بالله وفق ما جاء في الكتاب والسنة فقد رد على السائل بقوله: « إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، الدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع، غير مقبول القول، ومقتضى هذا: أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا شهادته برؤية هلال رمضان ولا أخباره الدينية، أما اعتقاده محبة الله عزّ وجل فإنه يمكن أن يكون محبًا لله سبحانه، مطيعًا له في غير هذا، ويجوز أن يكون له معاملة مع الله سبحانه وأعمال صالحة في غير هذا المقام»[3].

وهكذا يتضح لنا الدور الأمثل للعلماء الفاقهين، ممن كانوا يرون أن التصوف الحقيقي هو مجاهدة النفس وكبح جماحها، والسمو بها عن عالم الشهوات الهابطة إلى عالم الملأ الأعلى، حيث الأنس بالله، والانقطاع إليه دون الإعراض عن الخلق، ومخالطتهم والصبر عليهم، وإعمار الأرض بالخير والحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(1) الشبابة: المزمار من القصب.

(2) ابن قدامة المقدسي. **ذم ما عليه مدعو التصوف**. ص 5 نقلا عن: ناصر محمد علي الحازمي. **الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي**. مرجع سابق، ص 88.

(3) المصدر نفسه. ص6.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن تغري بردي جمال الدين (ت: 874هـ).. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مصر: دار الكتب، زارة الثقافة والإرشاد القومي
2. ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب.تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، 1986 م
3. ابن جبير. رحلة ابن جبير. بيروت: دار ومكتبة الهلال
4. ابن حجر العسقلاني. لسان الميزان. ط 2، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971م
5. ابن خلكان.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر
6. ابن عساكر. تاريخ دمشق. مقدمة المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م
7. أحمد أمين. ظهر الإسلام. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2013م
8. أسامة بن منقذ. الاعتبار.حرره فيليب حتي، د. ف.مصر: مكتبة الثقافة الدينية
9. أسامة زكي زيد. الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية. الإسكندرية: مصنع الإسكندرية للكراس، 1980م
10. بدر بن محمد طراد المعيقل. جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية. رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة ـ جامعة أم القرى 1425هـ
11. بليل عبد الكريم نشأة التصوف وتطوره.موقع: http://www.alukah.net/ بتاريخ 06/02/2012.
12. بهاء الدين بن شداد. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي،1994 م
13. تاج الين السبكي.: طبقات الشافعية الكبرى.تحقيق: محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو،ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع1413هـ
14. حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد: مكتبة المثنى، 1941م
15. خير الدين الزركلي. الأعلام. ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002 م
16. زلفى الخرّاط. الدعوة الإسلامية في عهد الدولة الأيوبية ط1، بيروت: دار القلم، 2013م
17. سعيد بن سعيد العلوي. الخطاب الأشعري.مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي. ط 1، بيروت: دار المنتخب العربي، 1992م
18. سميرة سالم السعيدي. الحياة العلمية في مدينة حماه في العصر الأيوبي. 578هـ - 698هـ /1182م - 1298م. رسالة ماجستير بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ـ جامعة أم القرى، 2011م
19. شمس الدين الذهبي. العبر في خبر من غبر. تحقيق: أبو هاجر زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية
20. شمس الدين الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993 م
21. شمس الدين الذهبي. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م
22. شمس الدين الذهبي. سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985 م

23. عبد الرحمن الشيزري. نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
24. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستِشراق ـ الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه. ط8، دمشق: دار القلم، 2000 م
25. عبد الرحمن عزام. صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني. ط1، الدوحة: دار بلومزبري، 2012م
26. عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي. أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية. ط1، الرياض، 1994م
27. علي سامي النشار. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط9، القاهرة: دار المعارف
28. الغزالي، أبو حامد. المنقذ من الضلال. مصر: دار الكتب الحديثة،
29. فيصل بجاش علي حميد.. التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية. رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ قسم التاريخ، 2006م ـ 2007م
30. فيليب حتي. تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة وتحقيق أنيس فريحة، بيروت: دار الثقافة
31. ماجد عرسان الكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس. ط2، دبي: دار القلم، 2009م
32. محمد عبد الله محمد المقدم. الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في المنطقة العربية في عصر الحروب الصليبية. رسالة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة، 2010م
33. محمد مؤنس عوض. الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية. ضمن أبحاث دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى). ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2003م
34. محمد مؤنس عوض. الحروب الصليبية السياسة ـ المياه ـ العقيدة. ط1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2001م
35. محمد مؤنس عوض. معجم أعلام عصر الحروب الصليبية. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2015م
36. محمود الحويري. الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة: دار المعارف، 1979م
37. ناصر محمد علي الحازمي. الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي. رسالة ماجستير بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة
38. نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي. السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة. تحقيق: مجيد الخليفة، ط1، القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، 2008 م
39. نعمان الطيب سليمان، منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية. القاهرة، 1991م
40. اليافعي. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م

Translated Arabic References: **ترجمة مصادر ومراجع اللغة العربية:**

1. Ibn Taghri Bardi Jamal al-Din (874 AH). The *Glorious Stars among the kings of Egypt and Cairo*. Egypt: House of Books, Ministry of Culture and National Guidance
2. Ibn Al-Imad al-Hanbali. *Golden Pieces in the News of Gold*. Realized by Mahmoud Al-Arnaout. Sayings realized by Abdul Qader Al-Arnaout (1st ed.), Damascus - Beirut: Dar Ibn Katheer, 1986
3. Ibn Jubayr. *The Journey of Ibn Jubayr*. Beirut: Al-Hilal House and Library
4. Ibn Hajr al-Asqalani. *The Tongue of the Balance* (2nd ed.). Lebanon: Al-Amali Institute for Publications, Beirut, 1971
5. Ibn Khalkan. *The Death of Notables and the News of the Sons of Time*. Realized by Ihsan Abbas, Beirut: Dar Sader
6. Ibn Asakir. *The History of Damascus*. Introduced and Realized by Amr Bin Fine Al-Omrawi, Dar Al-Fikr, 1995.
7. Ahmed Amine. *The Emergence of Islam*. Cairo: Arabic words for translation and publication, 2013.
8. Osama bin Munqadh. Mind edited by Philip Hitti, d. Egypt: Library of Religious Culture
9. Osama Zaki Zaid. *Crusaders and the Ismailis of the Levant in the Era of the Crusades*. Alexandria: Alexandria Copybook House, 1980.
10. Badr bin Mohammed Tarad Al-Mua'qil. 'The Efforts of Muslim scholars in Responding to the Christians during the Sixth Hijri Centuries.' PhD Dissertation, College of Da'wah and Principles of Religion - Department of 'Aqida Umm Al-Qura University, 1425
11. Bilil Abdel-Karim. *The emergence of mysticism and its development*. Retrieved from http://www.alukah.net/ dated 06/02/2012.
12. Bahaa al-Din bin Shadded. *The Humorous Stories of the Sultan and the Virtues of Yusifis*. Realized by Dr. Jamal Al-Din Al-Shayyal, 2, Cairo: Al-Khanji Library, 1994
13. Taj Al-Yen Al-Sabki: *The Classes of the Great Shaafa'is*. Realized by Mahmoud Mohammad Al-Tanahi and Dr. Abdel-Fattah Mohamed El-Helou (2nd ed.) Hajr for printing, publishing and distribution, 1413 AH.
14. Haji Khalifa. *Demystifying the Names of Books and Arts*. Baghdad: Muthanna Library, 1941.
15. Khair al-Din al-Zarkali. *Celebrities*. (15th ed.). Beirut: Dar El-Ilm Lilmalayine, 2002.
16. Zulfi Al-Kharrat. The Islamic Call during the Ayyubid State I 1, Beirut: Dar Al-Qalam, 2013 AD

17. Saeed Ibn Saeed Al-Alawi. *Al-Ash'ari Discourse: a Contribution to the Study of the Arab Islamic Mind*. (1st ed.) Beirut: The Arab Group, 1992
18. Samira Salem Al-Saidi. *The Life of Science in the City of Hama in the Ayyubid Era*. 578-698 AH / 1182-1298 AD. MA Thesis, Department of Historical and Cultural Studies, Umm Al-Qura University, 2011
19. Shams al-Din Al-Thahabi. *Lessons from the Stories of Those Who Perished*. Realized by Abu Hajar Zaghloul, Beirut: Scientific Book House.
20. Shams al-Din Al-Thahabi. *History of Islam and the Death of Notables and Celebrities*. Realized by Omar Abdulsalam Al-Tadmari, II, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1993
21. Shams al-Din Al-Thahabi. *History of Islam and the Death of Notables and Celebrities*. Realized by Bashar Awwed Ma'rouf (1st ed.) Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2003
22. Shams al-Din Al-Thahabi. *The Movement of the Celebrities and of Notables*. Realized by a group of authors under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout (3rd ed.) Beirut: Al-Resala Foundation, 1985
23. Abdurrahman Al-Shaizari. *The End of the Humorous Rank in Search for Honest Accounting*. The Committee of Authoring, Translation and Publishing Press.
24. Abdurrahman Ibn Hassan Habanka Al-Maydani. *The Three Wings of Deception and its Subjugations, Evangelism, Orientalism and Colonialism:* Study, Analysis and Guidance. (8th ed.) Damascus: Dar Al-Qalam, 2000
25. Abdurrahman Azzam. *Salah al-Din and the Revival of the Sunni Doctrine*. (1st ed.). Doha: Bloomsbury House, 2012
26. Abdullah bin Abdurrahman Al-Rubaie. *The impact of the Islamic East on European Thought during the Crusades* (1st ed.), Riyadh, 1994
27. Ali Sami Al-Nashar. *The Emergence of Philosophical Thought in Islam* (9th ed.), Cairo: Dar Al Ma'aref
28. Al-Ghazali, Abu Hamed. *The Savior from Loss*. Egypt: Modern Book House,
29. Faisal Bajash Ali Hamid .. *Intellectual Currents in the Levant and its Role in Facing the Crusades*. Ph.D., Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Department of History, 2006 AD
30. Philip Hitti. *The History of Lebanon from Ancient Times to the Present Time*. Translared and realized by Anis Friha, Beirut: House of Culture
31. Majid 'Orsan Al-Kilani. *This is How Saladin Appeared and Jerusalem Regained* (2nd ed.), Dubai: Dar Al-Qalam, 2009
32. Mohammed Abdullah Mohammed Al-Moqaddam. *The Missionary Efforts of the Catholic Church in the Arab Region in the Era of the Crusades*. PhD in History Department, Faculty of Arts Mansoura University, 2010

33. Mohamed Mo'nis Awad. *Sufi Movement in the Levant during the Crusades: a Study of the History of East-West Relations in the Middle Ages* (1st ed.), Ain for human and social studies and research. 2003
34. Mohamed Mo'nis Awad. *Crusades: Politics, Water and Creed* (1st ed.), Cairo: Ain for Human and Social Studies and Research. 2001
35. Mohamed Mo'nis Awad. *Dictionary of the Celebrities of the Crusades* (1st ed.), Cairo: Library of Arts, 2015 m
36. Mahmoud Al-Huwairy. *Civilizational Conditions in the Levant in the Twelfth and Thirteenth Centuries*, Cairo: Dar Al Ma'arif, 1979
37. Nasser Mohammed Ali Al-Hazmi. *Scientific life in Damascus in the Ayyubid Era*. Master Thesis, Department of Historical and Cultural Studies, Umm Al-Qura University, Makkah
38. Nassreddine Muhammad, Known as Khawaja, Nasrallah of India, Mekki. *The Bright Swords and the Concise of the Burning Bolts*. Realized by Majid Al-Khalifa (1st ed.), Cairo: Imam Al-Bukhari Library for Publishing and Distribution, 2008
39. No'man Al-Tayyeb Sulaiman. *Salaheddine's Approach to Governance and Leadership* (1st ed.), Cairo, 1991
40. Al-Yafi'i. *The Mirror of Paradise and the Lesson of Vigilance in Knowing the Accidents of Time* (1st ed.), Beirut: Scientific Books House, 1997

Intellectual Security in the Levant and Egypt during the Crusades 692 - 490(Ah1291- 1090)/-(Ad)

Nadjib Abderrahman Benkheira

Colleges of Arts and Humanities and Social Sciences - university of sharjah

sharjah - united arab emirates

Abstract:

Intellectual security during the Crusades in the Levant and Egypt, covered by this research, does not stand for intellectual dominance which means the repression of the freedom of opinion, the confiscation of ideas and the seizure of minds. It rather means a kind of intellectual enclosure that is built around firm beliefs and Islamic legislations established in the Holy Qur'an and Sunnah to face Mystic Ismailism, the Catholic crusade, and deviant Sufism. This should not be understood as a restriction of the mind, but rather as a guarantee of the unity of faith, the safety of thought, the consolidation of authority, and the confirmation of Islamic unity despite geographical fragmentation and political division. Scholars of Islam and jurisprudence have excelled in this role, and so have schools, libraries and various cultural institutions in the community.

Keywords: Intellectual security, Crusades3, Christianization, Sufism, Mystical thought.